

أنا وأنت على الطريق الأمان والسعادة في العلاقات الزوجية

سيدتي المستمعة،

تري، هل تصبو النساء إلى السعادة والأمان في علاقاتهم الزوجية؟ بالتأكيد نعم فإن هذا ما تصبو إليه كل امرأة وما تريده أن يكون سائدا في علاقتها مع زوجها. فتشعر بالاطمئنان والاستقرار. أليس كذلك؟ تعالي سيدتي نستمع إلى ما جاء في هذا التقرير عن السعادة والأمان. يقول التقرير: توصل باحثون إلى أن السعادة والأمان هدفان يصبو إليهما الكثير من الناس ولكن ذلك لا يتحقق دائما لهم. وفي دراسة نشرها موقع لايف ساينس يقول الباحثون إن مراحل التطور البشري قسمت الناس إلى مجموعات يشعر بعضها بالأمان العاطفي . فيما الآخر يفتقر إلى ذلك فيظهر على تصرفاته بشكل أو بآخر. وأضافوا أنه عندما يشعر شخص ما بخطر يتهدد علاقة شخصية وثيقة بآخر فإنه يتصرف بطرق مختلفة اعتمادا على ما إذا كان يشعر بأن العالم من حوله آمن أم لا. وقال أحد الاختصاصيين في علم النفس التجريبي : هناك مساوئ عند الذين يشعرون بالأمن ، موضحا بأنهم يتحركون ويعملون ببطء لأنهم بحاجة لتنظيم أنفسهم في المقام الأول. ورأى الباحث أن الذين لا يشعرون بالأمان يساورهم القلق دائما، مشبها إياهم بالأطفال الرضع الذين لا يمكنهم البقاء من دون مساعدة آبائهم لهم ولذا فهم يربطون مصيرهم بمصير غيرهم.

ويتابع التقرير ليقول على لسان أحد الاختصاصيين: إذا بكى الطفل وقامت أمه بملاطفته ومداعبته يمكنه عندها معرفة أنه بالإمكان الوثوق بالآخرين والحصول على حبهم ودعمهم. وأضاف الاختصاصي النفسي أن الطفل الذي يدرك أن والديه لا يقدمان إليه الدعم قد يتغير موقفه ويعلم أن عليه الدفاع عن نفسه وتدبر أموره بنفسه. وخلص إلى أنه عندما يشعر المرء بخطر داهم عليه عدم الشعور دائما بأن المجموعة التي حوله ستهرع لتوفير الحماية له. إلى هنا ينتهي التقرير....

إذن نستخلص من التقرير سيدتي أن المرأة أو الرجل ينبغي أن يتعلّم منذ الصغر بأن يتقأ بأنفسهما وأن عليهما الاعتماد على أنفسهما. أما إذا لم يتعلما ذلك منذ الصغر فمعناه أنهما عندما يكبران وبيتعدان عن الأهل الذين طالما اعتمدا عليهما طيلة السنوات الماضية، لسوف يشعران دائما بعدم الأمان والاستقرار العاطفي ولسوف ينقلان ذلك معهما إلى البيت الزوجي. مما ينعكس فيما بعد على العلاقة الزوجية ويصبح الوضع غير مستقر فلا يشعران لا بالأمان ولا بالسعادة. لكن هل الوقت انقضى ولم يعد هناك

وقت لكي يغير الإنسان من وضعه هذا؟ بالطبع لا . فالمثل الإنكليزي يقول: التأخر في عمل شيء أفضل من عدم القيام به بالمرّة. فما دمنّا على قيد الحياة يا سيدي ، ما دامت الفرصة متاحة لنا حتى نتغير ونتغير وننتغير . ولكن حتى ولو استطعت الحصول على الأمان والسعادة التي تؤمّن لك يا سيدي علاقة صحيحة وسليمة مع زوجك بشكل نسبي بالطبع لأنه ليس هناك كمال ما، فإن الاستقرار والطمأنينة التي تأتي من الداخل من نفوسنا وحناهاها هذه تقدر أن تمنحنا الاستقرار والشعور بالأمان ليس في يوم الخير فقط بل عند الضيقات والصعوبات التي نجتازها في حياتنا أليس كذلك؟ فهل حصلت على هذا النوع من الأمان والاستقرار الداخليين وسط التجارب والمحن والظروف الصعبة؟

تعالى معي سيدي نستمع إلى ما جاء في المزمور السادس والأربعين الذي كتبه بنو قورح في الكتاب المقدس. فبعد أن تعرضوا للخوف الكبير والضيقة إذ حوصرت المدينة وهاجمها الأعداء وكانوا من الأشوريين في ذلك الزمان، تأكدوا أن الله معهم فهتفوا هذا النشيد قائلين: الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار ، تعج وتجيش مياهها تتزعزع الجبال بظموها. نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلي. الله وفي وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصباح. عجّت الأمم، تزعزت الممالك، أعطى صوته ذابت الأرض رب الجنود معنا ملجأنا إله يعقوب. ... وفي نهاية النشيد يقول المرثيون: كفوا واعلموا أي أنا الله أتعالي بين الأمم أتعالي في الأرض. رب الجنود معنا ملجأنا إله يعقوب. (مز ٤٦)

إذا أردت سيدي أن تشعري بالأمان الدائم والاستقرار الحقيقي اللذين ينبعان من داخل القلب والنفوس والوجدان، فما عليك إذن إلا أن تتقي بالله الخالق الذي وحده يمنح عبده المؤمنين به القوة والعون في كل ظروف الحياة، وضمن كل العلاقات الحلوة منها والمرّة. وعندها تهتفين كما هتف بنو قورح وتقولين عن اختبار حقيقي بأن الله هو ملجأ لك وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا تخشين ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال. وليس هذا فحسب بل يحتنا الله في نهاية النشيد بواسطة روحه القدس ويقول لنا جميعاً: "كفوا واعلموا أي أنا الله أتعالي بين الأمم أتعالي في الأرض." نعم يريدنا الله خالقنا أن نهدأ ونسكن قلوبنا أمامه تعالى حتى نطمئن ولا نخشى. فهل تهدأين أمام الله يا سيدي وهل تتعلمين من كلمته المقدسة؟ تماماً كما جلست مريم عند رجلي الرب يسوع المسيح وتعلمت منه التعاليم السامية والعظيمة؟
